مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والامنية على الساحتين الدولية والاقليمية

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تقدير نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية على الساحتين الدولية والإقليمية

أهداف المركز الرئيسية:

1 . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

من الواضح أن الرقعة الجغرافية للمعركة في جنوب لبنان هي في توسّع مطّرد؛ بضع كيلومترات من هنا، وأخرى من هناك، والتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمخرجات المعركة على أرض فلسطين. من تلك الجغرافية التي لا تتجاوز عشرات الكيلومترات، والتي تطل على المتوسط من جهة، وعلى العالم من جهة أخرى، كونها تلامس المعادلة الصعبة لتوازن العلاقات ما بين الجغرافيا والتاريخ، والمحمّلين بالأبعاد الأخرى؛ حضارية وثقافية ودينية وسياسية واقتصادية وعسكرية؛ وحيث تتقاطع وتتضارب موازين القوى الإقليمية والدولية فيما بينها، ومع حروب النهايات من منطوق الروايات.

"الحرب الكبرى ستأتي إلى الشرق الأوسط. قد يكون في وقت لاحق قليلًا، لكنها حاصلة. الحوثيّون لن يتوقفوا؛ لن تدخل السفن بعد الآن إلى البحرالأحمر. أسعار النفط سوف ترتفع. إيران ستردّ على الاستفزازات. انهيار إسرائيل أمرٌ لا مفرّ منه. سمّها كما يحلو لك. نحن نُسمّيها جدول أعمال نهاية الوقت. نهاية العالم هو ما عليه الآن. الآن أو بعد ذلك بقليل. ربما ليس بعيداً، لكنه قريب". هكذا غرّد ألكسندر دوغن عبر منصّته، ليوافق هنري كيسنجر الذي ودّع العالم وهو قلق من اندلاع حرب عالمية ثالثة"؛ "ما يفصلنا عن ذلك هو أقلّ من عشر سنوات". كانت كلمات أطلقها كيسنجر دون أن يشهد ما آلت إليه الأمور في الشرق الأوسط، وفي فلسطين المحتلة تحديداً؛ وهو المُدافع الشرس عن الكيان الصهيوني. كان يُطلق العبارات باتجاه الصين الصاعدة وترامب المزمجر. لكنه في مناسبات سابقة على ذلك، وتحديداً في مطلع القرن الحالي، عُرف عنه قوله المأثور" **من لم يسمع طبول الحرب العالمية الثالثة تقرع لا بدّ أن يكون مُصاباً بالصمم"**؛ في إشارة واضحة منه إلى التهديد القائم للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط؛ وهي تصريحات تزامنت مع الرغبة الإسرائيلية في حينه لوضع الجمهورية الإسلامية الإيرانية على رأس لائحة "محور الشر" الأمريكية.

وما بين التوقّع الروسي وذلك الأمريكي، يمر الشرق الأوسط في مخاض عسير يفتقد فيه مجمل اللاعبين إلى نظامٍ ما يُحدّد آليات التعاطي، ويكبح جماح الانزلاقات التي تُغري باستخدام القوّة، سيما مع تصاعد وتيرة التهديدات الإسرائيلية باتجاه لبنان، واتساع الرقعة الجغرافية للعمليات العسكرية في الجنوب اللبناني وشمال فلسطين المحتلة.

ومما يزيد من تعقيد الأمور وترجيح كفّة التصعيد، هو تضاؤل هامش أو إمكانية التنازل لدى الأطراف كافة، نظراً لتحوّل الصراع إلى صراع وجودي؛ من جنوب فلسطين المحتلة إلى لبنان وسوريا والعراق واليمن وإيران... آخر التطورات في إطار التهديدات الإسرائيلية، تمثّل في تصريحات صادرة عن عضو مجلس الحرب، بيني غانتس، الذي أكّد على مواصلة استهداف البنى التحتية والأنفاق، وأن الحرب "ستستمر وتتوسع" في غزة. وفيما يتعلق بلبنان، فقد تمّ وضع الخيارات على الطاولة؛ إما حل دبلوماسي أو الحرب.

ونقِل عن غانتس قوله إن "الوضع على الحدود الشمالية يحتاج إلى التغيير". أما عرضه " الدبلوماسي"، فلخّصه بجملة واحدة: "إذا لم يتحرّك العالم والحكومة اللبنانية من أجل منع إطلاق النار على سكّان شمال إسرائيل وإبعاد حزب الله عن الحدود، فسيفعل الجيش الإسرائيلي ذلك."

وبالتزامن مع تهديدات غانتس، أكّد رئيس أركان جيش العدو، هرتسي هاليفي، بعد تقييم للأوضاع في جبهة شمال فلسطين المحتلة "أن الجبهة الشمالية وافقت على مجموعة متنوّعة من الخطط للاستمرار في المواجهة العسكرية مع "حزب الله؛ والعمل على إعادة سكّان المستوطنات الشمالية بأمان؛ وهذا يستغرق وقتاً. وعلينا أن نكون مستعدّين للهجوم إذا لزم الأمر".

أما وزير حرب العدو، يوآف غالانت، فكان أكّد في مطلع الشهر الحالي، على الهدف الإسرائيلي القاضي بإبعاد "حزب الله" إلى ما وراء نهر الليطاني جنوبي لبنان، "سواء بترتيب سياسي دولي أو بتحرّك عسكري، استناداً إلى القرار الأممي 1701"، مهدّداً: "عندما نُكمل عملية القتال في غزة، فإن الجهد العسكري الإسرائيلي سوف يتّجه بشكل أساسي إلى الشمال ضد حزب الله". وأضاف: "لا يُمكننا إقناع سكّان الشمال بالعودة إلى منازلهم على طول الحدود ما لم نتأكّد من أن وحدة الرضوان –وحدة العمليات الخاصة التابعة لحزب الله، وهي أقوى وأفضل تدريباً وتجهيزاً من قوّة النخبة التابعة لحماس بحسب تقديرات إسرائيلية– قادرة على الصمود. لن يتم تعريض سكّاننا للخطر".

إذاً، وفي ظل التقارير الواردة – التي تشير إلى تغييرات في التكتيك الحربي الإسرائيلي على غزة مع قرب انتهاء للمهلة الزمنية المحدّدة عرفياً من قِبل الولايات المتحدة، والقاضية بتخفيف الوجود العسكري المباشر على الأرض المحروقة في غزة، مع تفعيل نظام الضربات الموجعة والاغتيالات وحرب الاستنزاف لجبهة غزة – ووفق المعادلات الإسرائيلية، فإن لبنان سيكون ما بين "تسوية دولية " مُرتكزة على القرار 1701 وبين "الحرب الشاملة"؛ وكلا الأمرين دونهما الكثير من المحاذير التي من شأنها تغيير المعادلات.

تتضافر جملة من المعطيات العسكرية والاقتصادية والسياسية، وحتى المناخية، للتسويق لمسوّغات إيجاد مخرج أو تسوية تعيد المنظومة الإقليمية التي دخلت حالة من الفوضى إلى ما يشبه النظام. لكن لهذه المسوّغات ما يقابلها من عوائق تضع التنبّؤ على محمل الشك حتى اتضاح الصورة في ساحة الميدان الفلسطيني أوّلًا، واللبناني ثانياً. وكنّا قد أشرنا في تقدير سابق إلى ملامح تسوية في فلسطين إذا حصلت؛ لكن الأنظار تتّجه إلى ملامح تسوية أو حرب في لبنان في المرحلة الراهنة، من دون ترجيح توجّه على آخر.

مسوّغات التسوية وعوائقها:

إنّ الخوف، أو عدم الرغبة بالحرب، قد يخلق أرضيّة لبلوغ تسوية ما لمدة زمنية معيّنة، يمكن أن تنتج عن تنازلات من قِبل الطرفين مقابل تحقيق:

أ- الأمن المتقابل في المناطق الحدودية، أي الجنوب اللبناني والشمال الفلسطيني المحتل.

ب- ضمان تطبيق إسرائيلي عملي لمقتضيات عدم استباحة لبنان جواً وبحراً، مع انسحاب من الأراضي اللبنانية التي لا تزال قيد الاحتلال، في مقابل تراجع المقاومة إلى "ما بعد الليطاني"، ما يضمن – وفق الرؤية الإسرائيلية – أمن المستوطنات في الشمال؛ وهذا الأمر له الكثير من المحاذير، ليس أقلّها فقدان عامل الثقة بعدوٍ تستند عقيدته الدينية والسياسية إلى التوسع والتمدّد، ولو بعد حين.

ت- إمكانية التوصل إلى صيغة مع الدول المعنيّة (العالم كما وصفها غانتس) لتخفيف الضغط الممارَس على الساحة اللبنانية فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي.. وهذ الأمر دونه الملف الإقليمي ككل؛ إذ إنه يتعارض والتوازنات الجيوبوليتيكية في شرق البحر الأبيض المتوسط، خصوصاً وأن لبنان سيشكّل متنفّساً للدولة السورية؛ وهو الأمر الذي يتضارب مع المصالح الغربية والأمريكية على وجه الخصوص".

ث- إنّ المطالبة بوقف فاعلية الجبهة الجنوبية في لبنان ستتبعها مطالبة بوقف نشاط حزب الله والجماعات الموالية لإيران في جنوب سوريا؛ وهو ما يضع محور الممانعة أمام تنازل موجع من المستبعد جداً القبول به.

ج- من مسوّغات التسوية المفترضة في هذا المجال، الوضع الداخلي اللبناني وتشابكاته؛ وهو ما ألمحت إليه بعض الفاعليات اللبنانية في اليوم التالي لمعركة طوفان الأقصى، والهشاشة على المستوى السياسي والداخلي، التي يعاني منها الكيان الصهيوني، والتي ظهرت جلياً في خلال العام 2023؛ وهو ما نبّه إليه الليبراليون في مواجهة اليمين المتطرف في داخل الكيان، ما يدفع باتجاه نوع من التسويات من وجهة نظرهم؛ ولكن المعوقات على أرض الواقع لا تشير إلى أن هذه المسوّغات ستكون عائقاً أمام فرضية الحرب الشاملة.

ح- عدم وجود رغبة لدى بعض الناشطين السياسيين الأمريكيين والشارع الأمريكي بالتورّط في حرب جديدة؛ وهو ما ألقى بظلاله مؤخّرًا على الجدل الدائر حول مكامن المصلحة الأمريكية في التدخل في البحر الأحمر لحماية السفن الإسرائيلية، في ظل عدم تحرّك أوروبي فعّال في هذا المجال؛ علماً أنه وفق بعض التحليلات الأمريكية، تُعتبر أوروبا أكثر تضرراً من الولايات المتحدة في حالة تعطّل الملاحة في البحر الأحمر.

خ- المعارضة العربية والإقليمية عموماً لتوسيع رقعة الحرب، كونها ستحمل انهياراً واسعاً وفوضى شرق أوسطية، تتعارض مع الطموحات التنموية لدول المنطقة، سيما في ظل عدم وضوح آليات الخروج منها إذا وقعت؛ ما قد يدفع ببعض الدول إلى الدخول على خط الضغط والتسوية إلى جانب بعض القوى الغربية والآسيوية.

د- إنّ الأزمة المتّصلة بمستقبل إمدادات الطاقة في القارّة العجوز، أوروبا، سيما بعد الضربات التي تلقّتها على محور روسيا – أوكرانيا، قد تكون من أبرز العوامل التي من شأنها أن تُسهم في تسويغ عملية تسوية

شاملة، خصوصاً أن الولايات المتحدة كانت من بين أكثر الدول تشجيعاً لتنويع مصادر الطاقة في المنطقة، باستثناء لبنان وغزة، طيلة السنوات الماضية، في محاولة منها لمعالجة أزمة الطاقة الناشئة على تفجيرها لخطوط إمداد الغاز (نوردستريم 1و2) الروسية – الأوروبية. وقد نجحت دبلوماسية الطاقة الأمريكية هذه في بعض المناطق؛ ولكن حرب غزة كشفت عن المخاطر الجيوسياسية العالية التي تواجهها المنطقة. وإذا ما اتسعت رقعة الحرب، فإن أمن أوروبا الطاقوي والاجتماعي، نظراً لقربها من مناطق الصراع (الهجرة المتوسّطية إليها)، سيكون مُعرّضاً للخطر، في ظل تململ شعبي في دول الاتحاد الأوروبي من زيادة نسب اللجوء، مع ارتفاع مستويات التضخم خلال السنوات القليلة الماضية.

الحرب الشاملة:

إنّ المتتبّع لمسار الصراع بين الكيان الصهيوني والمقاومة "حزب الله "، قد يصل إلى نتيجة مفادها أنّ جلّ هم القيادة العسكرية الإسرائيلية حالياً هو استرجاع الهيبة المفقودة منذ ما قبل اندحار العام 2000 عن جنوب لبنان، ثم في حرب 2006؛ إلى هزيمة الكيان المعنوية الهائلة، وعلى الملأ، خلال معركة "طوفان الأقصى"؛ ولتشكّل حرب الإبادة ضد الفلسطينيين أبرز "إنجازات" الكيان العسكرية، والتي أسهمت في هزيمته أمام الرأي العام الدولي. ولكن يبقى لهذه الهزيمة وقعها القاتل عندما يُنظر إليها من خلال عيني حزب الله اللبناني، ذلك التهديد القادم من الشمال.

من هنا يمكن تقدير أنّ الكيان لا يستطيع، أو لا يرغب بوقف العمليات العسكرية ضد لبنان، قبل أن يتيقّن من أن هيبة الجيش الإسرائيلي قد رُمّمت، وبأنه تمّت استعادة عامل الردع، ليس في غزة وحدها، وإنما على الجبهة الشمالية أيضاً. ويساعد الكيان على تحقيق هذا الهدف:

1- انتشار القوات الأمريكية في المتوسط والبحر الأحمر على متن الحاملات الضخمة، والتورّط الأمريكي في الحرب الإسرائيلية على غزة؛ وهو ما يعتبره الكيان فرصة سانحة لتوريط الولايات المتحدة وحلفائها في حرب ضد لبنان وأعداء الكيان في المنطقة.

2- الحاجة الأمريكية، أو اقتناع إدارة جو بايدن بضرورة استمرار الكيان الإسرائيلي، لأنّ خسارته تُعدّ الضربة القاضية للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط؛ وهي لا تزال منطقة استراتيجية في إطار المعركة الجيوستراتيجية، الممتدّة من شمال شرق أوروبا وصولاً إلى البحر الأحمر وشمال شرق القارّة الأفريقية.

3- كما سبقت الإشارة، فإن الجانب الإسرائيلي لا يتمتّع بهامش كبير للتنازل، لأن أي تنازل من قِبله عن استعادة هيبته العسكرية والاستخباراتية المهدورة، سيعني توقّف هجرة "اليهود" إلى فلسطين المحتلة؛ وبالتالي استعادة مسألة قلق التعداد السكاني بالمقارنة مع الفلسطينيين، سيما على المدى المتوسط؛ وهو ما يحمل الضمور والانحلال في معانيه لدولة الكيان؛ وهذا خطر وجودي لن يقتصر فقط على جذب المستوطنين الجدد، بل سيدفع نحو هجرة عكسية كبرى.

4- شريكا الحرب الحالية: الرئيس الأمريكي جو بايدن، ورئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو، كلاهما يعاني من أزمة استمرارية في الحكم. ففي حين تشير استطلاعات الرأي في أمريكا إلى تراجع شعبية الرئيس الحالي في سنته الأخيرة، ما قد يدفعه، ومن خلْفه وزير خارجيته أنطوني بلينكن، الإسرائيلي الهوى، إلى الدخول في حرب تُلقي بتبعاتها على الرئيس الامريكي للدورة 60، والمرجّح أن يكون من الحزب الجمهوري؛ فيما تشير المعطيات في الساحة الإسرائيلية إلى أن رئيس حكومة الكيان سيكون في مواجهة ملف الحرب على غزة، إلى جانب الملفات القضائية السابقة.

5- يسند النقطة الرابعة الاعتقاد السائد لدى مُنظّري الحرب ضد روسيا، داخل الولايات المتحدة الأمريكية، بأن أي تنازل يتعلق بموازين القوّة والتفوّق العسكري الإسرائيلي في الشرق الأوسط، سيدفع باتجاه دخول روسي معادي إلى المنطقة، تتحطّم بسببه القوّة الأمريكية، في ظل الاعتقاد السائد لدى بعض المفكّرين والأكاديميين الروس بأن الكيان قد اتخذ موقفه من الصراع الدولي القائم إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية؛ وبالتالي فإن وجهة روسيا ستكون باتجاه العالم الإسلامي وفي معاداة الكيان؛ علماً أن هذا الاعتقاد سيجد أيضاً المعطيات التي قد لا تدعمه عملياً في حالة الانحراف الفعلي لموازين القوى الدولية، سيما في ظل استمرارية العلاقات القائمة ما بين الكيان وكلٍ من اللاعبين الأساسيين في مواجهة أمريكا، أي الصين وروسيا.

6- على الرغم من أن إطالة أمد الحرب في المنطقة يصب إلى حد ما في مصلحة القيادة الروسية والصينية على السواء، نظراً للتورّط الأمريكي، المالي والعسكري، وحتى على مستوى العتاد، فيها، وفق بعض التسريبات، إلّا أن اتساع رقعتها لا يخدم المصلحة الروسية على الإطلاق، إذ إنه، وبحكم الجغرافيا والتاريخ والتحالفات السياسية والعسكرية، قد تكون سوريا أكثر المناطق سخونة بعد لبنان، إن لم يكن بالتزامن، الأمر الذي يتهدد لمصالح الروسية والوجود الروسي في المنطقة.

7- إن واشنطن تشعر بالاستياء الشديد من التحرّكات اليمنية "الحوثية" في البحر الأحمر؛ وهي لم تتمكن حتى الساعة من تأليب الرأي العام الدولي ليُسهم معها في الحرب ضد المقاومة اليمنية، والتي وضعت عنوانين لتوقيف نشاطها العسكري: توقّف الإبادة الجماعية في غزة من قِبل الكيان الصهيوني، وإدخال المساعدات إلى غزة.

أما بالنسبة لواشنطن، وحسبما أشار أحد التقارير، فـ"تُعدّ هذه المهمة (في البحر الأحمر) مُثيرة للغضب. فقد تمكّنت مجموعة من رجال القبائل المسلّحين بالبنادق، والمزوّدين ببعض الصواريخ التي قدّمتها إيران، من التغلّب على قوّة الجيش الأمريكي، وتعريض طريق عبور بحري رئيسي للخطر، والذي يمر عبره الكثير من سفن الشحن الدولية، ومن بينها تلك التي تنقل كميات كبيرة من النفط والغاز الطبيعي. "وبذلك تبيّن أن القوة العسكرية الأمريكية أضعف مما يعتقده دافعو الضرائب - خاصة أنه تم نشر ما لا يقل عن مجموعتين من حاملات الطائرات الضاربة في المنطقة؛ إحداها في شرق البحر الأبيض المتوسط والأخرى في الخليج".

هناك جملة من الاحتمالات التي قد تُشعل هذه الحرب المتوقعة الشاملة، ولعلّ أبرزها معيار الضبط والانضباط بوقائع وتداعيات حرب غزة، حسبما صرّح الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصرالله. وفي هذا الإطار، يشير بعض المراقبين الغربيين إلى السيناريوهات المرتقبة التي قد تحثّ "حزب الله" على تنفيذ رد عسكري مباشر:

-السيناريو الأول هو قيام الكيان بشن عملية واسعة النطاق داخل غزة، واستنتاج "حزب الله" أن الشمال هو أكثر عرضة للهجوم.

- السيناريو الثاني هو قيام الكيان بتوجيه ضربة استباقية ضد "حزب الله" تحسّباً لأي هجوم كبير من الشمال.

- السيناريو الثالث هو انخراط إيران عبر إطلاق صواريخ من أراضيها أو من العراق أو سوريا أو اليمن .

ويعتقد أصحاب هذه السيناريوهات أنه "من شأن هذه السيناريوهات أن تؤدّي بدورها إلى تحديد معالم التدخل الأمريكي" وأنه "يتعيّن على صنّاع القرار أن يأخذوا في الاعتبار جميع الاحتمالات والمسارات"؛ "وإذا قرّر الكيان النظر في توجيه ضربة استباقية، فيجب أن ينسّق مع الولايات المتحدة" "خاصةً فيما يتعلق بإيران".

في الختام:

لا بدّ من الإشارة إلى أنه سبق في العقدين الماضيين أن خرجت إلى العلن تصريحات وتلميحات ودعوات متعددة، ترتكز على فكرة "ضرب نقاط الارتكاز" لمحاور المقاومة. فعلى مستوى الحركات المقاومة، يُعدّ الكيان الصهيوني حزب الله اللبناني رأس حربة الحركات في دول محور المقاومة، وأن إيران رأس حربة المقاومة

للمشروع الصهيوني في المنطقة على مستوى الدول أو الوحدات السياسية، وأن سوريا هي الممر الجغرافي الذي يصل هذه القوى ببعضها، باستثناء اليمن، ومنظومة البحر الأحمر.

إنّ المسوّغات لتسوية ما وعلى كثرتها ربما، لا تحمل في مجموعها مشروع إنقاذ للبنان أو أي من دول المنطقة المعنيّة، وإنما مشروع انتظار؛ وهو ما تُدركه قيادات المنطقة عموماً، سيما بعد فشل مشاريع التغيير في كيانات الدول والحركات المقاومة ومعتقداتها، عبر "الثورات الملوّنة" وأخواتها، وأن العدو بحاجة إلى انتصار سريع وعلني وواضح بعد هزيمته المدويّة في السابع من أكتوبر، "طوفان الأقصى"، وهو بعيد المنال حسبما يبدو حتى الساعة، ما يرجّح إمكانية اللجوء إلى حرب واسعة سيستخدم فيها الكيان كافة وسائل التدمير، وكافة وسائل الضغط، لتوريط أمريكا في المعركة، خاصة أنها في مرحلة أشبه ما تكون بالانتقالية، إذا صحّ التعبير، عشيّة الانتخابات. ولا بدّ والحالة هذه أن يتم تفعيل خطوط ما فوق الإقليمية، مع استشراف واقعي للمواقف والمصالح من جهة ، والعمل بمقتضى القاعدة الجيوبوليتيكية الأهم والأقدم على مستوى علم الجيوبوليتيك " وأعدّوا لهم ما استطعتم .."

إن أحد أهم سيناريوهات الحرب الواسعة سيرتكز على قاعدتي القوّة العسكرية والقوّة الحضارية؛ وهذه الأخيرة تستنهض طبعاً الخلافات الدينية والثقافية ..؛ وهو ما نشهده كأنموذج مصغّر على مواقع التواصل الاجتماعي (سياسية كانت أو ثقافية)، مع استعداد نفسي شديد لدى شعوب العالم للتطرف، من منطلقات وخلفيات متعددة. ولا بدّ من خطوات في هذا المجال لتدارك عوامل التشرذم وتفعيل عوامل المواجهة الحضارية مع أعداء الأمّة في هذه المرحلة الفاصلة.